احمد ع. حجازي

وجهة نظر في
قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية

يعلم القراء العرب ان المفكر الفرنسي جان بول سارتر قد تلقى في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي درجة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من الجامعة العبرية بالقدس . وقد شاهدنا هنا في باريس مع مشاهدي التليفزيون الفرنسي صوره من الاحتفال الذي اقيم بهذه المناسبة في السفارة الاسرائيلية بباريس في السابع من الشهر الماضي ، واستمعنا للكلمة التي القاها سارتر بعد ان سلمه السفير الاسرائيلي « جازيت » الدرجه الممنوحه له بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على راسهم الكاتبه سيمون دوبوفوار . والسيده فرانسواز جيرو وزيره الثقافة الفرنسية .

ولست اشك في ان الراي العام الثقافي في بلادنا قد استنكر قبول سارتر لهذه الجائزة الاسرائيلية واضاف ذلك الى سلسلة مواقف سارتر في تأييد اسرائيل .وقد قرأت بضعة مقالات وتعقيبات في الصحف العربية تدين كلها سارتر ، بل ان هناك من الفرنسيين من استنكروا كذلك قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية ، وقد سمعنا عن البيان الذي اصدرته في هذا الشأن مجموعة من المثقفين والصحفيين الفرنسيين الذين حضروا في الشهر الماضي ندوة بغداد حول « الصهيونية كحركة عنصرية » حيث ادانوا سارتر وعدوا عمله تزكية للعنصرية الصهيونية والاحتلال الاسرائيلي للبلاد العربية ؛ وهم في هذا ــ هؤلاء المثقفون الفرنسيون ــ يمثلون جانبا من الرأي العام الفرنسي والاوروبي يزداد يوما بعد يوم تفهما للقضية العربية وتعاطفا مع العرب . ومن المتوقع ان ترتفع بعض الاصوات العربية بالدعوة الى مقاطعة سارتر وكتبه ؛ فليس من المنطق ان يكون بعض الفرنسيين احرص على فلسطين من العرب انفسهم !

لكني اريد ان ارفع صوتي بالدعوة الى التريث في مقاطعة سارتر ، اذ نحن لن نكسب شيئا ونحن يخسر سارتر شيئا من هذه المقاطعة . ولن يكسب منها الا اسرائيل التي ستجدها فرصة للتنديد بالعرب الذين يحرقون الكتب ويقاطعون الافكار ؛ وفوق هذه الدعوة الى التفكير والتريث ارجو ان اوضح للراي العام الثقافي في بلادنا الجانب الاخر الذي ربما كان غير واضح من وافعه قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية ، وارجو في النهاية ان يجد القراء العرب في هذا الجانب الاخر ــ كما اجد ــ دليلا على موقف ايجابي جديد لسارتر من القضيه الفلسطينيه ، ان لم يكن من القوه بحيث يوجب علينا تحيته ، فليس اقل من ان يسعنا بخطأ مقاطعته .

وانا ابدأ فاستنكر انا ايضا قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية كما استنكرت قبل ذلك مواقفه السابقة في تاييد اسرائيل .

ولست اشك في ان اهداء الدكتوراه الفخرية لسارتر عمل خططت له اجهزة الدعاية الاسرائيلية للتغطية على انباء المذابح الفلسطينية اللبنانية ، هذه المذابح التي هي احدى النتائج المنطقية لاغتصاب فلسطين وتشريد الفلسطينيين من ناحية ولتآمر اسرائيليين وامريكيين والرجعيين العرب من ناحية اخرى .

ولست اشك كذلك ان اجهزة الدعاية الاسرائيلية ارادت فيما ارادت ان يغطي نبأ قبول سارتر للجائزة في السابع من نوفمبر الماضي على اصوات عشرات من المثقفين الاوروبيين والعرب الذين كانوا يستعدون لافتتاح ندوتهم ضد الصهيونية في بغداد في اليوم التالي ، الثامن من نوفمبر .

وباختصار . قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية

ليس هو مسالة اختلاف بيني وبين الذين استنكروا موقفه ودعوا الى مقاطعته ، وانما الخلاف بيني وبينهم في انهم لم يروا من هذه الواقعة الا جانب التأييد لاسرائيل ولم يكلفوا انفسهم رؤية الجانب الاخر في ذات الواقعة الذي يبدو فيه سارتر مدافعا عن الشعب الفلسطيني . وذلك في الكلمة التي القاها في حفلة تسليمه الدكتوراة في السفارة الاسرائيلية . حيث قدم سارتر لاول مرة في حياته العاطفة بتاييد اسرائيل دون قيد او شرط ـ قدم تأييدا مشروطا وذلك حين اعلن انه قلق على مصير الشعب الفلسطيني ، وانه نصير الفلسطينيين بقدر ما هو نصير للاسرائيليين !

واني انقل لكم الحقيقة بكل دقة حين اذكر لكم ان كلمة سارتر قد اربكت السفير الاسرائيلي بقدر ما ادهشت مشاهدي التليفزيون الذين لم يتوقعوا ان يتحدث سارتر عن الفلسطينيين بهذه المناسبة وبهذه اللهجة . وهذا ما جعل احد المذيعين ينتهز الفرصة ويسال السفير الاسرائيلي عن امكانية قيام حوار اسرائيلي ـ فلسطيني . ثم ان هذه الفقرة في كلمة سارتر حول فلسطين هي التي احتلت موقع البؤرة في الاخبار التي نشرتها الصحف الفرنسية عن قبول سارتر للدكتوراه الاسرائيلية كما فعلت جريدة « الموند » .

لقد قال سارتر بالنص : « ان قبولي لهذه الدرجة العلمية التي اشرف بها له مدلول سياسي ، فهو يعبر عن الصداقة التي احملها لاسرائيل منذ انشائها كما يعبر عن رغبتي في ان ارى هذه الامة (الاسرائيلية) وقد فازت بالامن والسلام ، هذا السلام الذي لا يتحقق في نظري الا اذا بادر الاسرائيليون الى الحوار مع الفلسطينيين . لانني قلق كذلك على مصير الشعب الفلسطيني ، وانا احس اني نصير للفلسطينيين بقدر ما انا نصير للاسرائيليين »

سارتر يعلن بوضوح شديد انه صديق لاسرائيل ونصير لها منذ انشائها ، واقول انا ان هذه العواطف قديمة تعود الى زمن طفولة سارتر . فجده لأمه يهودي من أعرق العائلات اليهودية في الالزاس ، وفي منزل هذا الجد الذي كان مثقفا دخل سارتر لاول مرة عالم الاسئلة الكبرى كما يحدثنا في « الكلمات » . لكن عواطف سارتر اليهودية ـ والحق يقال ـ عواطف غير صهيونية . ويتضح هذا من تعريفه لليهودي في «المسألة اليهودية» فاليهودي في نظر سارتر هو من يراه الاخرون يهوديا . اذن فاليهودية هي موقف من غير اليهود مفروض على اليهود ، او هي النزعة المعادية لليهود اكثر مما هي حقيقة موضوعية اصيلة كما يزعم الصهيونيون .

اليهودية في نظر سارتر وجود سلبي ، او هي على حد تعبيره « وعي شقي » ، ومن هنا نفهم طبيعة تأييد سارتر لاسرائيل ، ان سارتر في هذا التأييد يتخذ موقفا ضد النزعة اللاسامية اكثر مما يتخذ موقفا مع الحركة الصهيونية .

واذا كانت المنظمات اليهودية والمثقفون اليهود قد اقاموا الدنيا واقعدوها بسبب الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في اوروبا الرجعية والفاشية حتى هزوا كل ضمير حر في العالم . فقد فشل العرب للاسف الشديد زمنا طويلا في ان يقدموا قضيتهم العادلة للعالم الذي عرفها من خلال ابشع الصيغ والنداءات المتخلفة التي كان المندوبون الرجعيون العرب يرصعون بها خطبهم ليكسبوا بها التصفيق والسلطة في بلادهم دون التفات جدي للرأي العام في الخارج . ولهذا كان المثقف الاوروبي يناصر اسرائيل المعتدية بضمير مرتاح . ويظن ان مناصرته لها هي استمرار واحياء للتراث التقدمي الديموقراطي المقدس ضد الفاشية والنازية . فالمعادلة لم تكن اسرائيل ضد جماهير عربية . وانما كانت جماهير يهودية ضد نظم عربية رجعية متخلفة .

ولقد كان سارتر واحدا من هؤلاء المثقفين الذين اندفعوا في تأييد اسرائيل بهذا التصور السهل .

لقد زار سارتر اسرائيل وكال لها المديح ، ولم يترك سارتر مظاهرة في تأييد اسرائيل الا وشارك فيها ، ولم يفته بيان في الدفاع عنها لم يكن فيه على رأس الموقعين . ولقد اثار سارتر في العام الماضي ضجة كبرى في اسرائيل ضد منظمة اليونسكو عندما حرمت اسرائيل من المشاركة في نشاطها بسبب اعتداءاتها المتكررة على الوجود العربي في الاراضي المحتلة (*)

وها هو سارتر الذي سيق له ان رفض كل الجوائز التي اهديت له بما فيها جائزه نوبل واتهم الهيئة التي تمنحها بالخضوع للنفوذ الامريكي ، يقبل الدكتوراه الفخرية من اسرائيل التي لم تعد طبيعتها العنصرية العدوانية سرا من الاسرار ، وهو يتلقى هذه الجائزة المشبوهة من السفير الاسرائيلي في باريس ، وكان واحدا من المسئولين في اجهزه الامن الاسرائيلية قبل ان يحتل منصبه الاخير ، فهو من الذين يمارسون اضطهاد البشر بأيديهم وليس مجرد خاضع للنفوذ الامبريالي كما هي الحال في اعضاء لجنة التحكيم لجائزة نوبل .

ولا شك ان سارتر في كل هذا واقع في خطيئة كبرى لن يغفرها له تاريخ الفكر ، فسارتر مفكر كبير ، وليس كاتبا طائشا تمكن خديعته ، او صحفيا مأجورا تمكن رشوته . لكن هذه الخطيئة التاريخية ليست هي موضوعنا ، اذ هي موضوع قديم معروف ، ونحن لا نبحث الان كيف سقط سارتر في هذه الخطيئة ، وانما نبحث في قدرته على تجاوزها ومدى اقترابه من فهم القضية العربية في مرحلته الاخيرة ، فسارتر في الحقيقة ليس

(*) كتبت بهذه المناسبة مقالة عنيفة ضد سارتر بعنوان « سارتر يسقط في باريس » ونشرتها في مجلة « الف باء » العراقية .

رجلا واحدا وليس اتجاها جامدا . وسارتر « مودة » سان جرمان في الثلاثينات ليس سارتر نصير العمال والطلاب في الستينات ، وسارتر خصم الماركسية ليس سارتر نصير الماوية ، وسارتر المنفمس في القضايا الاوربيه ليس سارتر الجزائر وكوبا وفايتنام .

في عام ١٩٦٧ زار سارتر مصر . وعن طريق مصر زار قطاع غزة وتفقد معسكرات اللاجئين الفلسطينيين في القطاع ، ولم يعبر وقتها عن قلقه على مصير « الشعب الفلسطيني » كما عبر في كلمته الاخيرة . ولست اذكر انه تحدث في ذلك الوقت عن المشكلة الفلسطينية باعتبارها مشكلة وطنية وسياسية بقدر ما تحدث عن « مشكلة لاجئين » تكفي لحلها النقود والخيام والدقيق والسكر . ثم ذهب من فوره لاسرائيل حيث افاض هناك في مدح « المعجزه » الاسرائيلية .

فشتان بين سارتر عام ١٩٦٧ وسارتر عام ١٩٧٦ . سارتر الاسرائيلي ربما لم يتغير ، لكن سارتر العربي تغير تغيرا واضحا ، وهذه هي مسألتنا . ومن هنا دهشتنا لادانة سارتر الان والدعوة الى مقاطعته الان . فلم يكن سارتر في اي وقت مضى اقل منه الان تأييدا لاسرائيل . فلماذا لم تظهر هذه الدعوة لادانته ومقاطعته عام ١٩٦٧(*) ؟ولماذا تظهر الان وقد بدأ يتحدث عن قلقه على مصير الشعب الفلسطيني ويقول ان السلام لن يتحقق الا بالحوار مع الفلسطينيين ؟

ان موقف سارتر الاخير هو الجديد وهو الاولى بالتفكير والتقدير ، ومع ذلك فلهذا الموقف سوابق :

ـ كان سارتر قد قام بزيارتيه العربية والاسرائيلية قبيل حرب ١٩٦٧ ببضعة شهور . وما لبثت نذر الحرب ان بدت في مايو (ايار) ١٩٦٧ فسارع سارتر هو ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الاخرين الى اصدار بيان في تأييد اسرائيل ضد العرب . لكن اسرائيل هي التي بدأت بالهجوم واحتلت ما احتلت وقتلت من قتلت ودمرت ما دمرت . فلم يراجع سارتر نفسه ولم يغير موقفه الا بعد ان اشتعل النضال الفلسطيني بعد الهزيمة، هذا النضال الذي امتدت نيرانه الى اوروبا. آنذاك فحسب بدأ سارتر يعدل موقفه . فنضال الجماهير الفلسطينية هو الذي اضطر سارتر الى ان يعيد صياغة المعادلة القديمة . وان يعدل بالتالي موقفه منها . لم تعد القضية هي قضية اسرائيل الصغيرة المتمدنة في بحر التخلف والرجعية العربية . وانما صارت اسرائيل القوية المنتصرة في مواجهة الجماهير العربية ، موقف ذكره لا شك بأيام الاحتلال النازي لفرنسا . لكن سارتر لم يذهب الى النقيض ، وانما اخذ يتحرك ببطء لتعديل موقفه .

اصدر اول ما فعل عددا خاصا من مجلة « الازمنة الحديثة » حول مشكلة الشرق الاوسط ، وكان ذلك بعد الحرب بشهور قليله . لكن موقفه في هذا الصدد كان حياديا أو بالاحرى سلبيا . فقد خصص نصفه لعدد من الكتاب العرب ، وخصص النصف الاخر لعدد من الكتاب الصهيونيين اسرائيليين وغير اسرائيليين ، واكتفى هو وبعض الكتاب الفرنسيين بادارة الحوار . وبالرغم من هذا الموقف السلبي ، فقد وجدها بعض العرب الموجودين في فرنسا فرصة سانحة للاتصال بسارتر واطلاعه على تفصيلات القضية الفلسطينية ايمانا منهم بأن من الممكن كسب هذا المفكر الكبير ، الذي لا شك في اخلاصه لحرية الانسان ايا كانت طبيعة اجتهاداته ،الى جانب القضية العربية العادلة .

ام يقف سارتر الى جانب الصين وكوبا وفيتنام ؟ بل لقد وقف مع الجزائريين نصف الفرنسيين الذين كانوا يعارضون استقلال الجزائر واصدر كتابه الشهير « عارنا في الجزائر » يدين فيه الجمع الفرنسي ويدافع عن الثورة الجزائرية ؟ فلماذا لا يقف سارتر مع الفلسطينيين ؟وهل يكون ولاؤه للاسرائيليين وخوفه من غضبهم اكبر من ولائه للفرنسيين وخوفه منهم ؟

في هذه المرحلة ذهب الكاتب المصري المعروف لطفي الخولي الى باريس واجرى معه حوارا حول القضية الفلسطينية نشر في « الاهرام » وفي هذا الحوار بدا سارتر يعبر عن موقفه الجديد (*) ثم ما لبث النظام الاردني ان ضاق ذرعا بالثورة الفلسطينية فاقام لها مذابح سبتمبر (ايلول) الشهيرة عام ١٩٧٠ واخذ الفلسطينيون يتعرضون لخطر الابادة في الاردن بعد اسرائيل .. فلماذا لا يعقد سارتر محكمة للملك حسين على غرار المحكمة التي عقدها مع الفيلسوف رسل لمحاكمة السفاح الامريكي جونسون قاتل الفيتناميين ؟

كان الذين يتصلون بسارتر وقتها مجموعة من المناضلين العرب فلسطينيين وغير فلسطينيين على رأسهم الشهيد محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس الذي اغتالته المخابرات الاسرائيلية قبل ثلاث سنوات ، والشهيد الشاعر كمال ناصر الذي اغتالته الاسرائيليون في بيروت مع رفاقه من قادة فتح . والمحامي اللبناني جبران مجدلاني وشاب تونسي يعيش في باريس هو محمد الشابي .

وخلال عدة لقاءات امتدت ساعات طويلة بين هؤلاء

(*) تعليق من « الآداب » : تصويبا للوقائع ، نذكر ان رئيس تحرير هذه المجلة ، وربما سواه من الكتاب ، بادر الى ادانة موقف سارتر في تلك الفترة ، وبعثاليه ببرقية استنكار نشرتها بعض الصحف العربية والفرنسية ..

(*) اعادت « الاداب » نشر هذا الحوار .

وبين سارتر اقتنع المفكر الفرنسي بعقد المحكمة التي اصبح رئيسها الوحيد بعد وفاة رسل لمحاكمة كل من النظام الاردني والنظام الاسرائيلي على قدم المساواة بتهمة ابادة الشعب الفلسطيني . وبالفعل كتب سارتر خطاب الاستدعاء الى اعضاء المحكمة من مفكري العالم . واقترح ان تعقد جلساتها في الجزائر او في بيروت اذ كان يرى ان الراي العام اوروبي ليس مستعدا لاحتضان محاكمة لاسرائيل ، وكان شرط سارتر الوحيد ان يقدم للمحاكمة في قفص اتهام واحد جولدا مائير والملك حسين . وهكذا بدا هذا العمل الذي لم يتم للاسف بسبب برقية عاجلة وصلت الى محمود الهمشري من قادة المنظمة يطلبون فيها ضرورة الفصل بين المتهمين ويرفضون ان توضع حكومة الاردن وحكومة اسرائيل في قفص اتهام واحد . وهكذا فشل المشروع الذي لو تحقق لغير كثيرا من مواقف سارتر سواء من اسرائيل او من الفلسطينيين .

ونحن نذكر قصة هذا المشروع الذي لم يتحقق والذي ما زال بعض شهوده احياء لحسن الحظ اطال الله في اعمارهم ، وباستطاعتنا ان نعرف منهم كثيرا من تفصيلاته ـ نذكر قصة هذا المشروع لنستدل منها على ان سارتر قد عدل موقفه من القضية الفلسطينية الى حد كبير في حدود امكانياته ووضعه ومعطيات تاريخه .

يقول لي الصديق عزالدين قلق ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس : « لقد كنا على علم بأن سارتر قد قبل الدكتوراه الفخرية فاتصلنا به واتفقنا معه على نص الخطاب الذي سيلقيه في حفلة تسلمه لها في السفارة الاسرائيلية في باريس ، وقد التزم فعلا بالقاء هذا النص وان لم يذع التيلفزيون الفرنسي الا فقرات منه » .

* * *

أعود فأقول في النهاية ان سارتر لم يعدل عن صداقته الحميمة لاسرائيل ، لكنه يرفع درجة فوق درجة صوته في تأييد الشعب الفلسطيني . وفي هذا ـ كما اعتقد ـ كسبنا . وربما كان لنا الحق في ان نستصغره بازاء ما يتعرض له وطننا وشعبنا على ايدي الصهيونيين . لكنه بالنسبة لسارتر خطوة واسعة في اتجاه الحق ، خطوة ربما كانت هي الغاية ، فسارتر الان اصبح عجوزا لا يستطيع ان يقدم اكثر مما قدم ولا يستطيع ان يقلت من مواقفه الثابتة اكثر مما افلت ، لكننا نستطيع ان نستثمر موقفه الاخير في الاوساط التي تحترم سارتر . ولن يكون هذا بادانة سارتر ومقاطعته !

باريس

الفكر العربي
في معركة النهضة
تأليف الدكتور انور عبدالملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب: الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتثان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية ، اوامية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم أجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » . ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب — الثمن ٨٥ قرشا لبنانيا